وبخلاف المعنى موضوع الإشكال نلاحظ بوضوح أن بعض المعاني التي اعتبرت وجوهًا للفظ (الكفر)، كانت وليدة دخول اللفظ في سياقات مغايرة لسياق المقابلة مع الإيمان.

ويبدو أن فكرة التغطية، بما فيها من إظلام وتعمية، جعلت اللفظ متسعًا ليكون نقيضًا لكل ما هو حقٌّ ظاهر، من إيمان أو نعمة أو غيرها..

ومنها تولدت المعاني المختلفة بتغير المقابلات مرةً بعد مرة. والملاحظ على دلالة اللفظ أيضًا أنها ساقته ليكون دائمًا ردَّ فعل، أي حركة ثانية لا مبادرة.

فبعد النعمة كان كفرانها، وبعد مجيء الحق كان الكفر به وبعد الإنذار كان الكفر رفضًا للإيمان..

وردود الأفعال هذه، تمكن تسميتها بأسماء مختلفة تابعة للأفعال نفسها، فإذا كان رد الفعل دائمًا في اتجاه مضاد لاتجاه الفعل، فقد جاءت دلالة الكفر سلبية دائمًا حيثما كان الفعل إيجابيا، وتحددت تسمية الرد، بما هو نقيض للفعل!

فرفض العلم إنكار، وعدم الشكر جحود أو نكران، وإنكار المعرفة أو التخلّي عنها تبرٌّ، وهكذا..

ولعله من الممكن تتبع هذا ي مجال أوسع بدراسة دلالة المادة (كفر) في استقراء كامل لسياقاتها.

ثانيًا: القـــــــول:

كان الفعل «قال» مثارًا لإشكال معروف في علم الكلام، فيما يتعلق بأفعال الله سبحانه وبذاته وصفاته.

وقد تعرض ابن قتيبة في كتابه لطرف من هذا الإشكال، قائلاً[1]: «وذهب قومٌ في قول الله وكلامه: إلى أنه ليس قولا، ولا كلامًا على الحقيقة، وإنما هو إيجاد للمعاني.

وصرفوه في كثير من القرآن إلى المجاز. كقول القائل: قال الحائط فمال، وقُل برأسك إليَّ، يريد بذلك الميل خاصةً.

---

(١) ابن قتيبة، مشكل القرآن، ص١٠٦ وبعدها.